الأستاذ ســـيد قطب

بين تيمور ونجيب محفوظ

الأســـتاذ صلاح ذهني

نشر الأستاذ الناقد سيد قطب مقالين عن القصة في مجلة الرسالة الغراء تحدث في أولها عن أدب محمود تيمور ، وعرض في الثانية لقصة الأستاذ نجيب محفوظ « كفاح طيبة » ، وبقدر ما أثار مقاله الأول دهشتي ؛ فإن مقاله الثاني قد خفف من هذه الدهشة وأحالها إلى أسف عميق للوقت المضاع الذي صرفته في قراءة المقالين — وكلاهما عن القصة — متوقعاً مرجوّ الفائدة من مقالين لناقد أشهد أني طالما قرأت له في النقد أبحاثاً طيبة .

أما الدهشة فقد كان مبعثها حيرة ناقد يفهم في القصة أمام فن الأستاذ تيمور وأمام الطائفة (ولا أقول المدرسة فقد أوقع هذا اللفظ الأستاذ سيد قطب في سلسلة من الأخطاء) التي يمكن أن يوضع بين أفرادها .

أجل . لقد تملكت الحيرة الناقد سيد قطب ودار يطرق بفن محمود تيمور أبواب المذاهب الأدبية باحثاً له عن مأوى يركن إليه فما وجد . فآب إلينا بعد رحلته ينادي بحيرته ، ويقول إنه حائر بهذا الرجل «محمود تيمور» وبفنه .

دهشت كل الدهشة لأنني ، ولست ناقداً ، استطعت أن أضع تيموراً في مكانه منذ أقاصيصه الأولى ، واستطاع العشرات من الكتاب أيضاً أن يضعوه في هذا المكان ؛ فقلت وقالوا عنه أنه واحد من رواد المذهب الواقعي ، واختلفت واختلفوا في أمر واحد ، هو قدر تيمور بين رواد هذا المذهب . وهنا تشعبت الآراء واختلفت ، وأحسب أن كاتباً من الكتاب غير تيمور لابد إذا وضع موضع الدراسة والتقدير أن يعاني نفس الاختلاف بين ناقد وناقد ، لأن مذاهب الأدب ومدارسه ، ليست كما يتصورها الأستاذ سيد قطب معسكر اعتقال تحكمه قوانين صارمة ، وإنما هي في الواقع تسمى مدارس تجوزاً ، حقيقة الأمر فيها أنها مجرد أبواب . أبواب مختلفة لمدرسة واحدة ، لكل طائفة باب تسلك منه إلى داخلها ، ولن تقوم القيامة حين يدخل كاتب من باب غير بابه ، ولن يُشنَق الناقد إن سلك كاتباً في غير طائفته فلابد واجدٌ في أدبه ما يصله بهذه الطائفة أو تلك أو غيرها .

لذلك دهشت ورثيت للأستاذ سيد قطب وهو يدور بتيمور فأتعب الرجل وأضنى نفسه .

ولو علم أنه وهو يطوف بتيمور أقحم ثلاثة غيره في غير أبوابهم فما قامت القيامة ولا أمسك إنسان بتلابيبه لأراح نفسه

ألم يضع توفيق الحكيم صاحب مذهب في القصة ، وليس لتوفيق في القصة ناقة ولا جمل ، وما كان فيها صاحب مدرسة ؟

ألم يهمل توفيق الحكيم نفسه حين تكلم عن الرواية المصرية في مقاله الثاني عن رواية نجيب محفوظ « كفاح طيبة» ؟ هنا حيث المجال طيب للمقارنة وسلك الكتاب في طائفتهم واجب . فكلاهما ولى وجهه شطر مصر القديمة ، وكلاهما أخرج عملاً مصرياً يشيد بمجد مصر القديمة ؟

ألم يقحم أستاذنا المازني في سلك كتاب القصة ، ومع ما أكنه ويكنه الكثيرون للأستاذ المازني من تقدير ؛ فما جرؤ واحد منا أن يقول عنه إنه صاحب مذهب في القصة ؟

ثم ألم يمسك بيد القصصي البارع يوسف جوهر ليقوده إلى حرم جي دي موباسان حيث كل شيء غريب عليه ، ولو أنه أمسك بيده الأخرى تيمور لأنقذ نفسه وصاحبه من الخجل ، ولوجد بين يدي موباسان عذراً لزيارته الطارئة . إنه على الأقل كان يدخل بإنسان يعرف المكان ؟

ومع ذلك فما حدث كان يسيراً ، أربعة أخطاء يسيرة

وضع كاتب رواية Novelist بين كتاب القصة القصيرة Short story writers

ووضع كاتب مقالة ممتاز Essayist في عداد القصصيين .

وأقحم يوسف جوهر في مدرسة موباسان دون مؤهلات ، ولا حتى طلب التحاق ...

ورابعة الأخطاء — وليست الأنانى — الوقوف بتيمور أمام الباب الذي يجب أن يدخل منه ، باب الواقعية ، باب موباسان العظيم . الوقوف ساعات ثم الانصراف بالحيرة والتبلبل ،

ولا ذنب لتيمور إلا أنه وقع بين ناقد فاضل لا يجيد قراءة اللافتات « اليُفط » !

وبعد !

أيجب أن أقول إن الناقد الفاضل سيد قطب ، كما أخطأ فى مقاييس النقد قد أخطأ فى حق التاريخ — علم التاريخ — فزلت قدمه فى مقاله الثانى بدفعة لعينة من تلك العقيدة التى تسيطر عليه من أن النقد لا يكون صحيحاً إلا إذا كشف عن نقائص ، أو ابتكر نقائص ...

ذلك ما حدث فى المقال الثانى الذى كتبه عن الرواية الرائعة « كفاح طيبة » للأستاذ نجيب محفوظ . فقد سرد ما فى القصة من مزايا وما لها من قدر كعمل قومى ، ولون من الكتابة يتطلبه الأدب المصرى ، وأثنى على الكاتب ، ثم ! ثم تذكر عقيدته فى النقد فكشف عن بعض الهنات التى انطوى عليها الكتاب ، فذكر من هذه الهنات أربعة أخطاء . أخطاء تاريخية !

الأولى أن المؤلف — نجيب محفوظ — قدّر مدة حكم الرعاة « الهكسوس » فى مصر بمائتى عام ، والراجح (عند الأستاذ سيد قطب) أنها حوالى خمسمائة عام

والثانية أن كلمة « أحمس » أوّلها المؤلف أنها مشتقة من الحماسة ، وهذا خطأ فى رأى سيد قطب ، لأن هذا الاشتقاق فى اللغة العربية ، وأحمس مجرد اسم مصرى قديم

والثالثة : أن نجيب محفوظ ذكر اسم « بلاد النوبة » ، والواقع أن النوبة هى التسمية الحديثة لهذه البلاد

والرابعة : أن المؤلف ساق خلال الحوار جملة على لسان سكنن رع الملك المصرى ، يستنكر فيها أن يكون للرعاة من العجلات الحربية أضعاف ما للمصريين منها . ولا يعجب هو بهذا الاستنكار ، لأن الهكسوس هم الذين أدخلوا العجلات الحربية إلى مصر

والحق أن المخطئ هو الأستاذ سيد قطب !

ذلك أن ما قاله نجيب محفوظ هو الحقيقة التاريخية الثابتة

فالهكسوس لم يمكثوا فى مصر أكثر من مائتى عام ، بل أقل من ذلك .

وليعد الأستاذ سيد قطب إلى المرجع العربى الذى يستطيع أن يحصل عليه ويقرأه بسهولة ، وهو « المجمل فى تاريخ مصر » الجزء الخاص بمصر القديمة من وضع الدكتور عبد المنعم أبو بكر

وبلاد النوبة هى نفسها بلاد النوبة القديمة ، كما أن كلمة « نوب » معناها القديم هو الذهب ، وكان المصريون يسمونها النوبة ، لأنها بلاد الذهب ، ويسمون الإلٰه « حوريس » « حوريس نوب » ، أى حوريس الذهبى

أما بلاد بنت التى يقول عنها فهى الصومال الحالية !

وأحمس اسم بمعناه يدل على الجرأة والإقدام فى اللغة المصرية القديمة .

وأما قصة العجلات الحربية فالكلام الذى ورد فى الحوار على لسان الملك سكنن رع حقيقة تاريخية

فهو يقول : « لم تكن العجلات من آلات الحرب لدى الرعاة ، فكيف يكون لجيشهم أضعاف ما لجيشنا منها ؟ »

فالعجلات لم تكن من آلات الحرب لدى الرعاة ، كانت آلتهم الحربية هى الحصان ، وعندما مروا بفلسطين عرفوا العجلات واستخدموها ، ونفس اشتقاق كلمة عجلة أو مركبة من الكلمة القديمة « عَجُلْتى » أو « مَرْكبوتْ » معناها العجلة أو المركبة عند سكان سوريا وفلسطين وهى نفس الكلمة التى أطلقها المصريون إذ ذاك . ولا يعنى ذلك أن المصريين لم يعرفوا العجلات ، فقد عرفوها من قبل ورأوها قطعاً فى رحلاتهم وغزواتهم فى عهد الدولة الوسطى والدولة القديمة ، لكنهم لم يستعملوها ولم يأخذوا بها . فليس غريباً أن يستنكر الملك أن يكون لدى الهكسوس عدد كبير منها ، بينما ليس بيديه هو هذا القدر — وهو صاحب مصر العليا ، ولديه من الأيدى الصانعة أضعاف ما لدى ملك الهكسوس

هذه هى الهنات التى كشفها الأستاذ سيد قطب . إنما هى حقائق تاريخية لا تقبل الجدل . وكل ما كشف عنه الناقد هو حاجته للكثير من الاطلاع والتريث والصبر ، الكثير الذى يجنبه حيرة هى أقرب شىء للجهل ، ويجنبه أخطاء إن تكررت فقد تدعو الكثيرين من أمثالى ممن أعجبوا به فى أبحاثه الماضية لإعادة النظر فى كل ما رواه إذ ذاك على أنه حقائق

فإن لم يكن لديه الصبر فليعد إلى نقد الشعر ، وإن يضيره شيئاً أن يقال إنه ناقد شعر فحسب

صبحى زهنى

لجنة النشر للجامعيين - أصدرت عام ١٩٤٤

			الثمن ـ ص
ثلاثة رجال وامرأة	للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى	(قصة تحليلية)	٢٠
سلامة القس	للأستاذ على أحمد باكثير	(قصة رائعة تستمد الآنسة أم كلثوم لإخراجها فى السينما)	١٥
أقاصيص	للاستاذة : المازنى . تيمور . المصرى . صلاح ذهنى . سميد عبده . نجيب محفوظ . عادل كامل	مجموعة طريفة من الأقاصيص وألوان مختلفة . ١١ أقصوصة	١٥
بلال مؤذن الرسول	للاستاذ عبد الحميد جودة السحار	ترجمة حياة الصحابى الجليل فى أسلوب قصصى شائق	١٥
ع الماشى	الاستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى	مجموعة أقاصيص طريفة من وحى فلسطين ولبنان والعراق	١٥
حديقة أبى العلاء	الاستاذ كامل كيلانى	مساهمة فى العيد الألفى لأبى العلاء	١٥
كفاح طيبة	للاستاذ نجيب محفوظ	قصة فرعونية أجمع النقاد على أنها أحسن قصة فرعونية صدرت حتى الآن	١٥
أبو ذر الغفارى . مصدر يبحث الاشتراكية فى الإسلام	للاستاذ عبد الحميد جودة السحار	نفدت الطبعة الثانية وتظهر الطبعة الثالثة قريبا	١٥
عشاق العرب	للاستاذ كامل محمد محلان	خمسة كتب فى كتاب (حبابه . جميل . زينب . لبنى غادة الهودج) حوار أدبى فى جو تاريخى وإيجاز بليغ	١٥
قصر الهودج	للاستاذ على أحمد باكثير	مسرحية شعرية غنائية غزل . غرام . غناء	١٥
خريف امرأة	للاستاذ إبراهيم المصرى	مجموعة أقاصيص	١٥

تحت الطبع

مليم الأكبر	للاستاذ عادل كامل	أول قصة مصرية طويلة تصدر بمقدمة طويلة ١٥٠ صفحة	١٥
محمد نبى الله	تأليف مولاى محمد على وترجمة الأستاذ مصطفى فهمى	أحسن ما كتب عن محمد صلى الله عليه وسلم	
وا إسلاماه	للاستاذ على أحمد باكثير	القصة الفائزة بجائزة وزارة المعارف تشرح حقبه غامضة فى التاريخ المصرى والإسلامى	
أسيادنا الموظفون	للاستاذ عبد الحميد جودة السحار	مجموعة أقاصيص انتقادية	
ملك من شعاع	للاستاذ عادل كامل	القصة الفائزة بجائزة وزارة المعارف تحفة فنية رائعة عمل أدبى عظيم	
فى خان الخليلى	للاستاذ نجيب محفوظ	قصة مصرية طويلة	
سعد بن أبى وقاص وأبطال القادسية	للاستاذ عبد الحميد جودة السحار	ترجمة اسلامية قصصية	

كتب أخرى كثيرة ...

جميع هذه الكتب تطلب من مكتبة مصر ومطبعتها
٦٣ شارع الفجالة بالقاهرة